

مولد الهدي كانت "مكة" على موعد مع حدث عظيم كان له تأثيره في مسيرة البشرية وحياة البشر طوال أربعة عشر قرناً من الزمان، وسيظل يشرق بنوره على الكون، ويرشد بهداه الحائرين، إلى أن يرث الله الأرض وما عليها. وسخر كل ما فيه لخدمة الإنسان، وكأن هذا الكون كان يرتقب قدومه منذ أمد بعيد. وفي (12 من ربيع الأول) من عام الفيل شرف الكون بميلاد سيد الخلق وخاتم المرسلين "محمد" صلى الله عليه وسلم. وقد ذهب الفلكي المعروف "محمود باشا الفلكي" في بحث له إلى أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم ولد يوم الإثنين (9 من ربيع الأول الموافق 20 من أبريل سنة 571 ميلادية). ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاعته عام الفيل (اختلف في مولده صلى الله عليه وسلم، فذكر أنه كان في ربيع الأول، وهو المعروف. وهذا القول موافق لقول من قال: إِنَّ أُمَّهُ حَمَلَتْ بِهِ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَيَذْكُرُونَ أَنَّ الْفِيلَ جَاءَ مَكَةَ فِي الْمَحْرَمِ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِدَ بَعْدَ مَجِيءِ الْفِيلِ بِخَمْسِينَ يَوْمًا. وكانت ولادته صلى الله عليه وسلم بالشعب؛ وقيل بالدار التي عند الصفا، وكانت بعد لمحمد بن يوسف أخي الحجاج ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجّت. راجع الروض الأنف والطبقات الكبرى لابن سعد والطبري). واللدة: الترب، والهاء فيه عوض عن الواو الذاهية من أوله، وفي سائر الأصول: "لدتان" ولم تذكره كتب اللغة بدون تاء). رواية حسان بن ثابت، عن مولده صلى الله عليه وسلم). قال ابن إسحاق: وحدثنني صالح بن (هو صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف بن عمران الزهري المدني، روى عن أبيه وأنس ومحمود بن لبيد والأعرج وغيرهم. وعنه غير ابن إسحاق ابنه سالم والزهري ويونس بن يعقوب الماجشون وجماعة. مات بالمدينة في خلافة هشام بن عبد الملك. عن تراجم رجال) إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، مأخوذ من اليفاع، يفعة ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعت إذ سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أطمه (الأطمة بفتحتين: الحصن) بيثرب: يا معشر يهود، حتى إذا اجتمعوا إليه، قال محمد ابن إسحاق: فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، فقلت: ابن كم كان حسان بن ثابت مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة؟ فقال: ابن ستين سنة وقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فسمع حسان ما سمع وهو ابن سبع سنين. نسب النبي الشريف هو "أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة"، ويمتد نسبه إلى "إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان"، وينتهي إلى "إسماعيل بن إبراهيم" عليهما السلام. وأمه "آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة"، وروي أن جده عبد المطلب رأى في منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره، لها طرف في السماء وطرف في الأرض، وطرف في المشرق وطرف في المغرب، ثم عادت كأنها شجرة، على كل ورقة منها نور، فتأولها بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب، ويحمده أهل السماء فسماه "محمد". جلية واضحة منذ اللحظة الأولى في حياته، بل إنها كانت قبل ذلك، وقد تجلى ذلك حتى في اصطفاء اسمه صلى الله عليه وسلم، فليس في اسمه أو اسم أبيه أو جده ما يحط قدره وينقص منزلته، وليس في اسمه شيء محتقر، كما أنه ليس اسمه اسماً مصغراً تستصغر معه منزلته، ابن الذبيحين ويعرف النبي صلى الله عليه وسلم بابن الذبيحين، فأبوه "عبد الله" هو الذبيح الذي نذر "عبد المطلب" ذبحه ثم فداه بمائة من الإبل، وجده "إسماعيل" - عليه السلام - هو الذبيح الذي فداه ربه بذبح عظيم. وقد اجتمع للنبي صلى الله عليه وسلم من أسباب الشرف والكمال ما يوقع في نفوس الناس استعظامه، ويسهل عليهم قبول ما يخبر به، وأول تلك الأسباب كان شرف النسب "وأشرف النسب ما كان إلى أولي الدين، وأشرف ذلك ما كان إلى النبيين، وأفضل ذلك ما كان إلى العظماء من الأنبياء، وأفضل ذلك ما كان إلى نبي قد اتفقت الملل على تعظيمه". ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يهودياً ولا نصرانياً ولا مجوسياً، لأنه لو كان من أهل ملة لكان خارجاً عن دين من يدعوهم فيكون عندهم مبتدعاً كافراً، وذلك ما يدعوهم إلى تنفير الناس منه، وإنما كان حنيفاً مسلماً على ملة آبائه: "إبراهيم" و"إسماعيل" عليهما السلام. مولد النبي صلى الله عليه وسلم إيدان بزوال الشرك كان مولد النبي صلى الله عليه وسلم نذيراً بزوال دولة الشرك، ونشر الحق والخير والعدل بين الناس، ورفع الظلم والبغي والعدوان. وكانت الدنيا تموج بألوان الشرك والوثنية وتمتلئ بطواغيت الكفر والطغيان، وعندما أشرق مولد سيد الخلق كانت له إرهاصات عجيبة، وصاحبته ظواهر غريبة وأحداث فريدة، ففي يوم مولده زلزل إيوان "كسرى" فسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار "فارس" ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة "ساوة". وروى عن أمه أنها قالت: "رأيت لما وضعته نوراً بدا مني ساطعاً حتى أفزعني، ولم أر شيئاً مما يراه النساء". وذكرت "فاطمة بنت عبد الله" أنها شهدت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم وقالت: "فما شيء أنظر إليه من البيت إلا نور، وإنني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إنني لأقول لتقعن علي". وروى أنه صلى الله عليه وسلم ولد معذوراً مسروراً - أي مختوناً مقطوع السرة - وأنه كان يشير بإصبع يده كالمسبح بها. محمد اليتيم فقد محمد صلى الله عليه وسلم أباه قبل مولده، وكانت وفاة أبيه بالمدينة عند أحوال أبيه من "بني النجار" وهو في الخامسة والعشرين من عمره، وعلى عادة العرب فقد أرسله جدّه إلى البادية

ليسترضع في "بني سعد"، وكانت حاضنته "حليمة بنت أبي ذؤيب السعدي"، فلم يزل مقيماً في "بني سعد" يرون به البركة في أنفسهم وأموالهم حتى كانت حادثة شق الصدر، فخافوا عليه وردوه إلى جده "عبد المطلب" وهو في نحو الخامسة من عمره. وكان محمد صلى الله عليه وسلم قد تجاوز السادسة بثلاثة أشهر، وكأنما كان على "محمد" صلى الله عليه وسلم أن يتجرع مرارة اليتيم في طفولته، ليكون أباً لليتامى والمساكين بعد نبوته، وليتضح أثر ذلك الشعور باليتيم في حنوه على اليتامى وبره بهم، محمد في كفالة جده وعمه فلما مات "عبد المطلب" وكان "محمد" في الثامنة من عمره، كفله عمه "أبو طالب"، فكان خير عون له في الحياة بعد موت جده، مع ما كان عليه من الفقر، وكان "أبو طالب" يحب محمداً ويؤثره على أبنائه ليعوضه ما فقده من حنان وعطف. وحينما خرج "أبو طالب" في تجارة إلى "الشام" تعلق به "محمد" فرق له "أبو طالب" وأخذه معه، فلما نزل الركب "بصرى" - من أرض "الشام" - وكان بها راهب اسمه "بحيرى" في صومعة له، فلما رآه "بحيرى" جعل يلحظه لحظاً شديداً، ثم أقبل على عمه "أبي طالب" فأخذ يوصيه به، محمد في مكة وشهد "محمد" صلى الله عليه وسلم حرب الفجار - الذين فجرُوا القتال في شهر الله الحرام رجب - وكان في السابعة عشرة من عمره، وحضر "حلف الفضول" وقد جاوز العشرين من عمره، ولو دُعيت إليه اليوم لأُجبت". وقد عُرف النبي صلى الله عليه وسلم - منذ حداثته - بالصادق الأمين، وكان موضع احترام وتقدير "قريش" في صباه وشبابه، حينما أعادوا بناءها بعدما تهدمت بسبب سيل أصابها، وأرادت كل قبيلة أن تحظى بهذا الشرف حتى طار الشر بينهم، وكادوا يقتتلون، فبسط رداءه، ثم وضع الحجر وسطه، وطلب أن تحمل كل قبيلة جانباً من جوانب الرداء، فلما رفعوه جميعاً حتى بلغ الموضع، أخذه بيده الشريفة ووضع مكانه. وعندما بلغ "محمد" صلى الله عليه وسلم الخامسة والعشرين تزوج السيدة "خديجة بنت خويلد"، قبل أن يُبعث، فولدت له "القاسم" و"رقية" و"زينب" و"أم كلثوم"، وولدت له بعد البعثة "عبد الله".